دبلوماسية الرئيس ياسر عرفات في فض المنازعات:
(النزاعات العربية- الإفريقية نموذجا)

د. محمد إسعيد العمور*

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الرئيس / ياسر عرفات في إيجاد حلول مرضية لبعض المشكلات التي اعترضت مسار العلاقات العربية الأفريقية ، وجهوده في التأسيس لعلاقات أخوية بين العرب والأفارقة ، وإرساء قواعد متينة من التعاون في المحافل الدولية ضد العنصرية والاستعمار والصهيونية وكافة مظاهر الظلم الناجمة عن الحقبة الاستعمارية ، وحضوره الدائم والفعال لاجتماعات منظمة الوحدة الإفريقية وحصول فلسطين من خلاله على مقعد مراقب في المنظمة الأفريقية ، ودعمه السياسي والقانوني لحركات التحرر في أفريقيا ، ووساطته الشخصية في حل النزاعات الطارئة بين الدول الإفريقية ، واستغلال دوره التاريخي وشخصيته الفذة في فك أزمات الحدود بين بعض الدول الأفريقية .

وسينجز البحث من خلال جملة المباحث التالية :

- مقدمة (وفيها يتم تناول القواسم المشتركة بين المعاناة في فلسطين وبعض الشعوب الأفريقية).
- المبحث الأول : موقف الدول الأفريقية ومنظمتها من القضية الفلسطينية .
- المبحث الثاني : جهود الرئيس عرفات لديمومة التواصل مع الدول الأفريقية وتطوير موقفها من فلسطين والكيان الإسرائيلي .
- المبحث الثالث : مواقف منظمة التحرير الفلسطينية والرئيس عرفات من حركات التحرر الوطني الأفريقي (حزب المؤتمر الأفريقي نموذجاً).
- المبحث الرابع : وساطة الرئيس عرفات لحل النزعات في أفريقيا .

أمثلة :- الوساطة في النزاع الموريتاني السنغالي.

- الوساطة في النزاع الليبي التشادي .
- الخاتمة : وتتضمن نتائج البحث .

ABSTRACT

This study aims to excretion the role of the president Yasser Arafats in finding acceptable solution to some problems which block the way of African and Arabian relations , and his efforts in establishing fraternal relations between Arabs and Africans and establishing the strong principles of co – operation in the international conferences against the racism imperialism , Zionism and all the aroong aspects which appeared as a result to the imperialism period and his regular and effective presence in the organization of African unity meetings and through these meetings Palestine obtain obseruers seat in African organization and his

* قسم الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – جامعة الأقصى – غزة – فلسطين.

political and legal support to the movements of liberation in Africa , and his personal mediation in soluing the emergent straggles between African countries and exploitation his historical role and his in comparable personality in soluing the crisis of the lines between some African countries .

And this research will achieve through the following series of references :

Introduction : " Includes the common things between the suffering in Palestine and other countries as African people " .

The first reference : " the position of the African countries and it,s organization to wards the Palestinian case .

The second reference :" Yasser Arafats,s efforts for continuity the contact communication with African countries and keep touch with them . and development it,s position from Palestine and Israeli being .

The third reference :" Yasser Arafats and Palestinian liberation organization positions from Africans national liberation movements as asample :(African conference party) .

The forth reference :" The President Yasser Arafats mediation to solue the struggles in Africa .

- The mediation in Senegalese and Mauritania straggle .
- The mediation in Libyan and Tchad straggle.

The conclusion : And includes the results of the research .

المقدمة :

القواسم المشتركة بين المعاناة في فلسطين وبعض الشعوب الإفريقية

جمعت بين الفلسطينيين وبعض الشعوب الإفريقية قواسم مشتركة من المعاناة حيث تعرض الطرفان لنوع من الاستعمار الاحلالي الاستيطاني في كل من جنوب إفريقيا والجزائر وزامبيا وموزنبيق وفلسطين . وكان لبريطانيا وفرنسا الدور الأكبر في معاناة شعوب هذه الدول .

وقد تشابهت الظروف الاستعمارية والسياسية والاجتماعية بين فلسطين وأكثر مناطق إفريقيا خسارة من حقبة الاستعمار ــ جنوب إفريقيا ــ حيث تشابهت تلك الظروف فكلا البلدين تعرضتا لموجات من المستوطنين الذين كانوا يستولون على أراضي المواطنين بالقوة وينشئون عليها منازلهم ومدنهم ومصانعهم ، وسرعان ما يستغلون أبناء البلد الأصليين في إدارة آلتهم الإنتاجية بأجور زهيدة ، يمارسون من خلال ذلك ترويضا بطيئا لعقلية المواطنين الأصليين لقبولهم والاعتراف بوجودهم والإقرار بحقوق مزعومة لهم ، ثم عزلهم في مدنهم ومحاصرتهم في (جيتوهات) خاصة بهم ، والتنكيل بكل من يحاول منهم التجرؤ على المطالبة بحقوقه الوطنية.

وتشابهت ظروف البلدين والشعبين بتكوين هيئات وطنية للدفاع عن حقوقهم الوطنية متمثلة في منظمة التحرير الفلسطينية في الساحة الفلسطينية وحزب المؤتمر الوطني الإفريقي في جنوب إفريقيا ، وقد حظيت الساحتين بزعيمين تاريخيين منهم من أدى مهمته وحمل عصاه ومضى ، ومنهم من ينتظر كالزعيم الإفريقي مانديلا .

المبحث الأول: موقف الدول الإفريقية ومنظمتها من القضية الفلسطينية

تطورت العلاقات الفلسطينية الإفريقية في نهاية الستينات و بخاصة بعد ظهور منظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً ووحيداً للشعب الفلسطيني وحصول معظم الدول العربية على استقلالها، ومن ثمّ رعاية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر للثورة الفلسطينية ، حيث شهدت العلاقات العربية ــ الإفريقية في هذه المرحلة درجة عالية من التنسيق والتضامن في العديد من القضايا التي تهم الطرفين في تلك الفترة وعلى رأسها مكافحة الاستعمار والتمييز العنصري ، والتخلص من الاحتلال وقد كان لمصر الناصرية الدور الأكبر في الدعم السياسي الذي قدمته لحركات الاستقلال في إفريقيا. فكانت أول دولة تساند حركات التحرر الإفريقية ماديا وعسكريا ودبلوماسيا وإعلاميا في إطار تصاعد الدور المصري في إفريقيا بعد قيام ثورة يوليو/تموز1952.(ندوة العلاقات العربية ــ الإفريقية.جمعية الدعوة العالمية . ص405).

كما شمل هذا التنسيق والتضامن دعم القضايا العربية والإفريقية في أروقة الأمم المتحدة وحركة عدم الانحياز، وكافة المحافل الدولية بجميع شعبها السياسية والاقتصادية والثقافية والرياضية فقد كافحت الدول العربية والإفريقية معا ضد الاستعمار الاستيطاني في جنوب إفريقيا وروديسيا وفلسطين، وتجلى التعاون العربي الإفريقي في مساعدة الدول العربية للدول الإفريقية في الموقف الإيجابي لوفود دولها لدى الأمم المتحدة من قضايا تحرير البلاد المستعمرة، وقضية مناهضة الدول العنصرية في جنوب إفريقيا وروديسيا ، وما أدى إليه هذا الموقف من إصدار الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم 1514 في سبتمبر/أيلول 1960 والخاص بمنح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمرة.

لقد نجم عن حرب 1967 تطوراً مهماً في نظر الأفارقة تجاه إسرائيل بوصفها أصبحت قوة احتلال تحتل أراضي دولة أفريقية وهي مصر . ومع تصاعد الدعم العربي لحركات التحرر الوطني في الجنوب الأفريقي وخيبة أمل القادة الأفارقة من الدول الغربية لعدم مساعدتها في تنفيذ الخطة الإفريقية الرامية إلى عزل جنوب إفريقيا والبرتغال وروديسيا ازدادت حدة الانتقاد الأفريقي للعدوان الإسرائيلي حتى وصل الأمر قبل نشوب حرب أكتوبر/تشرين الأول 1973 حد قطع العلاقات الدبلوماسية. ففي عام 1972 قامت أوغندا بقطع علاقاتها مع إسرائيل، ثم تبعتها سبع دول أخرى هي : تشاد ومالي والنيجر والكونغو وبرازافيل وبوروندي وزائير وتوغو . (www.aljazeera .net)

وتجلى رد الجميل والاعتراف بالفضل من قبل الدول الإفريقية للدول العربية في هذه الحرب حيث وقفت الدول الإفريقية المستقلة ومنظمة الوحدة الإفريقية موقفا متضامنا مع الدول العربية، ترجم ذلك على هيئة قرار جماعي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل . وقال الرئيس

الزائيري السابق (موبوتو سيسيكو) كلمته المشهورة " إذا كان الخيار بين أخي وصديقي، فخياري واضح: " وبانتهاء حرب أكتوبر/تشرين الأول بلغ عدد الدول الإفريقية التي قطعت علاقاتها مع إسرائيل 29 دولة ، ولم يتبق من الدول الإفريقية الأعضاء في المنظمة سوى أربع دول لها علاقات مع إسرائيل هي : ملاوي وموريشيوس وليسوتو وسوازيلاند (www.aljazeera .net).

وقد تميزت العلاقات العربية- الإفريقية عموما والفلسطينية الإفريقية على وجه الخصوص بعد حرب أكتوبر/تشرين الأول بالتطور السريع ودخلت مرحلة جديدة من أبرز سماتها فتح ممثليات لمنظمة التحرير الفلسطينية في كثير من الأقطار الإفريقية ولما أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية قيام دولة فلسطين في قصر الصنوبر بالجزائر العاصمة عام 1988 م اعترفت بها منظمة الوحدة الإفريقية وسمحت لها كثير من الدول الإفريقية بفتح سفارات لدولة فلسطين حتى تجاوز عدد السفارات الفلسطينية في إفريقيا أكثر من ست وثلاثين سفارة ، ولم يتم تقليص عدد سفارات فلسطين في إفريقيا إلا بقرار فلسطيني اتخذ لذلك بعد الأزمة المالية التي تعرضت لها منظمة التحرير الفلسطينية ، اثر قرار الإدارة الأمريكية تجفيف مصادر تمويل منظمة التحرير الفلسطينية وتوقف دول الخليج العربي عن تقديم بعض المساعدات المالية عقابا على موقف القيادة الفلسطينية في حرب الخليج الثانية .

كما قامت الدول الإفريقية في تلك الفترة بتأييد النضال العربي وطالبت بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة عام 1967 م ، و ربطت الدول الإفريقية بين حركة التحرر الفلسطينية وحركات التحرر الإفريقية واعتبرت قضية فلسطين قضية عربية و أفريقية كذلك .

وعلى الصعيد العربي تكثفت الاتصالات والمشاورات بين الأمانة العامة لكل من جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية. وبادر الجانب الأفريقي بإصدار المجلس الوزاري لمنظمة الوُحدة الإفريقية قرارا خاصا بالتعاون العربي الأفريقي نص على إنشاء لجنة سباعية لإجراء اتصالات مع الدول العربية عن طريق الجامعة العربية لدراسة آثار حظر البترول على الدول الإفريقية، وأوصى بإقامة تعاون اقتصادي عربي أفريقي وشكلت لجنة خاصة بهذا الموضوع اجتمعت في أديس أبابا عام 1973 م . (إجلال . العلاقات العربية ــ الإفريقية . 383) وكذلك : (إبراهيم . مجلة الوحدة . عدد 97. ص6-7 أكتوبر 1992) .

وفي إطار مواقف الدول الإفريقية ومنظمتها تجاه القضية الفلسطينية فقد أصدر مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية في فبراير/شباط 1975 إعلان أديس أبابا الذي أكد فيه أن جوهر مشكلة الشرق الأوسط هو قضية فلسطين، وأوصى بضرورة إجراء مشاورات مشتركة بين جامعة الدول العربية ولجنة التنسيق لتحرير إفريقيا بهدف وضع إستراتيجية لتحرير فلسطين على غرار إستراتيجية أكرا ودار السلام لتحرير القارة الإفريقية . بالإضافة إلى ذلك ساندت الدول الإفريقية

الحقوق العربية في إطار قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة، فساندت قرار (242) واشتركت في تدعيم القرار الآسيوي الذي يقضي بأن استمرار الموقف الخطير والمتدهور في الشرق الأوسط يشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين، كما ساندت بعض الدول الإفريقية قرار اعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية (حماد:1986، 82) .

وإجمالا فإن الموقف الإفريقي تجاه القضية الفلسطينية تميز بالتأييد الشديد لحقوق الشعب الفلسطيني في الاستقلال وتقرير المصير. والتعاطف الشعبي القوى مع القضية الفلسطينية، وخاصة في فترة النهوض السياسي المميز لمجموعة عدم الانحياز وبروز شخصيات سياسية ذات شعبية عارمة كالرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر الذي كان يلقبه الأفارقة (بأسد إفريقيا)، وقد انتقل اللقب بعد وفاته ليطلق على الرئيس الجنوب إفريقي نلسون مانديلا ، وقد اشترك الزعيمان في تأييدهما المطلق للقضية الفلسطينية ،ولشرعية النضال والمقاومة الفلسطينية.

المبحث الثاني: جهود الرئيس عرفات لديمومة التواصل مع الدول الإفريقية وتطوير موقفها لصالح فلسطين في مواجهة الكيان الإسرائيلي .

إن أهم ما يميز السلوك السياسي للرئيس عرفات هو مبدأ (Foot in the door) حيث كان دائم الاتصال بالقادة والحكومات الإفريقية، ويسجل له حضوره الدائم لمؤتمرات القمة الإفريقية وحصوله لفلسطين على مقعد عضو مراقب في منظمة الوحدة الإفريقية . وكان لهذا الحضور فيما بعد الأثر الكبير في تبني معاناة الشعب الفلسطيني في جميع قرارات منظمة الوحدة الإفريقية سابقا (الاتحاد الإفريقي)، والتأكيد على حقه الثابت والشرعي في الاستقلال وعودة لاجئيه وإقامة دولته على ترابه الوطني .

كما يسجل للرئيس عرفات زياراته المتكررة لجميع الدول الإفريقية ، فمن لاجوس و أكسرا و كونا كري وداكار في الغرب الإفريقي إلى أديس أبابا ودار السلام في شرق إفريقيا ، ومن انجامينا وباماكو ونيامي في وسط إفريقيا إلى بريتوريا في جنوب القارة الإفريقية كانت مما ساهمت في إرساء قواعد متينة من القناعة لدى أنظمة وشعوب القارة السمراء بعدالة قضيته ومدى الظلم التاريخي الذي لحق بشعبها ، وعنصرية وطغيان أعدائه ، إسرائيل ومن يدعمها في مواصلة عدوانها .

وقد ظهر نتائج ذلك في انتفاضة الأقصى حيث كان أكثر الردود حزما على مجزرة جنين عام 2002م جاء من أفقر دولة افريقية التي قررت قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل احتجاجا على ما اقترفته آلة الحرب الإسرائيلية في مخيم جنين ، موقف مبعثة العلاقة القوية التي تربط الرئيس عرفات ورئيس جمهورية النيجر محمد طانجا الذي كان نائبا للرئيس في آخر زيارة قام بها الراحل عرفات إلى نيامي .

وقد جمع الرئيس عرفات علاقات شخصية حميمية مع مجموعة من قادة الدول الإفريقية منهم الرئيس السنغالي السابق عبدو ضيوف ، والرئيس النيجيري الجنرال إبراهيم بابا انجيدا وخلفه الجنرال ساني أباتشا والرئيس الغيني أحمد سيكوتوري والرئيس البوركينابي توماس سنكارا والرئيس الغاني تشارلز ورؤساء زامبيا كينيث كاوندا وفريدريك شيلوبا والرئيس المالي موسى تراوري والرئيس الجنوب افريقي نلسون مانديلا وغيرهم من القادة الأفارقة ذوي التأثير المباشر والقوي في الساحتين الإفريقية والدولية (هذه نماذج لما ورد من تقارير صحفية حول تصريحات بعض القادة الأفارقة لدى مرض الرئيس عرفات الذي توفي فيه . مصدرها وكالة الأنباء الإفريقية (بانا) www.panapress.com " وذكرت صحيفة "لونيو" أن الرئيس الغابوني عمر بونغو أونديمبا أكد مؤخرا في باريس خلال زيارة العمل التي قام بها إلى فرنسا أنه تضرع إلى الله من أجل شفاء شقيقه وصديقه الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات من مرضه . "كما دعا الوزير الأول الموريشيوسي (بول بيرنجي) مواطني بلاده إلى الدعاء للرئيس عرفات قائلا "ندعو بالشفاء لشقيقنا ياسر عرفات " الذي "يمر حاليا بأوقات عصيبة).

ولقطع الطريق على أهم وسيلة من وسائل تغلل إسرائيل في إفريقيا أصدر الرئيس عرفات لمؤسسة صامد وكافة المؤسسات الفلسطينية للاستثمار التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية بالتوجه إلى الساحة الإفريقية ، فأنشأت الكثير من المزارع النموذجية لمؤسسة رعاية أبناء الشهداء الفلسطينية (صامد) في كل من غينيا بيساو والسنغال وجامبيا ، وقامت بعض المؤسسات الفلسطينية بإنشاء العديد من المشاريع الخاصة في كل من ساحل العاج وبنين والتوجو وجامبيا وصولا إلى زائير وزامبيا إفريقيا الوسطى .

وقد وصلت العلاقة بين الشعوب الإفريقية وفلسطين قضية وشعبا أن انضم عددُ من الشبان الأفارقة لصفوف الثورة الفلسطينية منهم من استشهد ومنهم من عاد إلى بلاده حاملا ذكرياته في معركة بيروت عام 1982م .

المبحث الثالث: مواقف الرئيس عرفات من حركات التحرر الوطني الإفريقي:

حزب المؤتمر الأفريقي نموذجا:

جمعت قواسم مشتركة بين الشعب العربي والشعوب الإفريقية ، من أهمها : الظلم الفادح الذي لحق بالطرفين جراء الاحتلال والاستعمار الغربي . وقد كان للرئيس عرفات مواقف مشهودة في مناصرة ومؤازرة النضال الإفريقي في ساحتين مشهورتين وهما جنوب إفريقيا وروديسيا وكانت له علاقات شخصية مع الزعيم الإفريقي نلسون مانديلا الذي تجمع بينهما كثير من الصفات من أهمها كاريزميتهما الخاصة التي تجعل من كلٍ منهما شخصية نضالية متشابه في كثير من

الجوانب الإنسانية والاجتماعية والسياسية والنضالية فقد اشتركا طويلا في المعاناة فالأول بدأ حياته سجينا والثاني أنهاها شبه سجين من احتلال واحد وان تعددت الأسماء، وقد أرسى الرئيسان علاقات مميزة بين الشعبين . وقد قام الرئيس عرفات بزيارات متكررة لبريتوريا قبل فرض الحصار عليه لتطوير هذه العلاقات في كافة المجالات . والجدير بالذكر أن العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية وحزب المؤتمر الوطني الإفريقي بدأت في وقت مبكر منذ أن جمعت بين أفرادهما الساحة الجزائرية والليبية حيث سمحت لهم الحكومتان الجزائرية والليبية بالتدرب على أراضيهما، كما جمع بينهما الدعم المباشر وغير المباشر من مجموعة من الدول المناهضة للاستعمار كالصين وكوبا وفيتنام وكوريا الجنوبية وجمهورية إيران الإسلامية فيما بعد.

وقد ارتبط الرئيس عرفات بعلاقات سياسية وشخصية مع الرئيس الزامبي روبرت موجابي الذي كان مناضلا إفريقيا صلبا ضد الاستعمار حتى حقق الاستقلال لبلاده، وكان الزعيمان في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن المنصرم ملء السمع والنظر وكانا أنموذجين لزعيمين يدافعان عن حقوق شعبيهما .

إن من أهم العوامل التي وطدت العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية وحركات التحرر الإفريقية سعي حركات التحرر الإفريقية إلى مصر الناصرية باعتبارها نموذجا مشعا تسير على هديه ، خصوصا حينما رفعت مصر شعارات مقاومة الاستعمار، واعتبرت مصر القارة عمقا استراتيجيا لها، فجندت كل إمكاناتها اقتصاديا من خلال شركة النصر الشهيرة ، وثقافيا من خلال الأزهر ، وسياسيا من خلال الدعم المعنوي لحركات التحرر ومساندة معاركها العادلة ضد الاستعمار، وعسكرياً من خلال مد المقاومين بالسلاح وإيفاد خبراء عسكريين لتدريبهم، وضمت القاهرة ذات يوم مكاتب لنحو 35 حركة تحرر على امتداد القارة .

كما ضمت القاهرة كثيراً من مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ومكاتبها الإعلامية والإدارية ، بل إن قوات عين جالوت وهي قوات فلسطينية كانت مقيمة على الأراضي المصرية، وقامت مصر أيضاً باستضافة عشرات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين الذين اتخذوا من أرض الكنانة بلدا ثانيا لهم .

ولمصر في نفس الرئيس عرفات مكانة خاصة وهو صاحب العبارة المشهورة " فلسطيني الدم مصري الهوى " لذلك كانت القاهرة مكانا مناسبا للتعاون الفلسطيني الإفريقي عموما والتعاون بين منظمة التحرير الفلسطينية وحزب المؤتمر الوطني الإفريقي على وجه الخصوص .

المبحث الرابع: وساطة الرئيس عرفات لحل النزعات في إفريقيا

أولاً: الوساطة في النزاع الموريتاني السنغالي

إن اقتسام مياه نهر السنغال، ظل أحد ابرز أسباب الخلاف بين موريتانيا والسنغال، وقد سبق للسنغال أن طالبت بالضفة الموريتانية من النهر، الذي يشكل الحدود الطبيعية بين البلدين إبان الأزمة، التي اشتعلت بين البلدين سنة 1989،ويكمن الخلاف بين الدولتين في النقاط التالية :

1- يمثل مرسوم 8 ديسمبر 1933 الأساس القانوني الأهم بالنسبة لترسيم الحدود بين السنغال وموريتانيا، وهو فعلا يقيم الخط الفاصل للحدود شرق منطقة سانت لويس على الضفة اليمنى للنهر، ولكنه ليس الأساس الوحيد فهناك مرسوم25 فبراير1905 م وإن كان من خصائص القرار اللاحق أن يَجُبَّ القرار السابق (رأفت: 1994 ،25) وكذلك (بكداش:1992 ، 30).

2- العرف الدولي في مخلفات الاستعمار وقيمته القانونية فمنذ عام 1960 والدولة الموريتانية تبسط سيادتها كاملة على الضفة اليمنى للنهر من حافتها حتى الخط المار بمنتصف النهر من دون منازعة أو اعتراض من القواعد الراسخة للعلاقات بين البلدين أن منتصف مجرى النهر هو الحدود الدولية المتعارف عليها رغم تعرجات المجرى التي تكون أحيانا حادة ناحية طرف لحساب طرف آخر . والأهم قانونا في رأي كثير من الفقهاء هو الوجود الفعلي المعترف به للحدود ، وليست الوثيقة القانونية المعينة لهذه الحدود سواء كانت معاهدة أو اتفاقا دوليا أو قرارا إداريا صادرا من السلطة الاستعمارية صاحبة الاختصاص (كما هو الحال مع مرسوم 8 ديسمبر 1933) فللوثيقة قيمة تاريخية وليست إنشائية.(إبراهيم: 1994، 86).

3- إعلان كل من دولتي السنغال وموريتانيا تمسكها بمبدأ (عدم جواز المساس بالحدود الموروثة من الاستعمار) الذي أصبح يمثل جزءا أصيلا من القانون الإقليمي الإفريقي ، ومن المشروعية الإفريقية ، وفلسفتها العامة واحدة ، وهي تغليب مقتضيات الأمن والاستقرار على اعتبارات العدل على أساس أن المحصلة النهائية للتغيير ستكون أوخم وأكثر ضررا من التغيير بكل ما يتضمنه الوضع القائم من عيوب (www.maqatel.com).

لكن الأمور أخذت منحى خطيرا في أواخر شهر أبريل 1989، حيث اندلعت فجأة أحداث عنف داخل السنغال وموريتانيا، تمثلت في تدمير ممتلكات كل من الجالية الموريتانية في السنغال، والجالية السنغالية في موريتانيا. وقُتل المئات من أبناء الجاليتين. ففي 26 أبريل ، قُتل وأصيب حوالي 740 مواطناً من أبناء الجالية الموريتانية في السنغال، على أيدي المواطنين السنغاليين. ومن أبناء الجالية السنغالية في موريتانيا على أيدي الموريتانيين .وقد بدأت الأحداث بشجار في قرية جاورا على الحدود الموريتانية ــ السنغالية، بين رعاة موريتانيين ومزارعين سنغاليين في 9

أبريل. ولكنه سرعان ما شمل أبناء الجاليتين في الدولة الأخرى، وأدى إلى توتر شديد في العلاقات بين الدولتين. وفي 28 أبريل قدمت السنغال احتجاجاً إلى موريتانيا، على أعمال العنف ضد السنغاليين، وهددت بالانتقام من الموريتانيين إذا ثبت أن قوات الأمن الموريتانية، كانت المسئولة عن مصرع السنغاليين .

كذلك شرعت كل دولة في نقل رعاياها المقيمين في الدولة الأخرى على وجه السرعة. وشاركت طائرات المغرب وأسبانيا وفرنسا في عملية واسعة لتبادل أبناء الجاليتين .وفي الوقت ذاته، وجه الرئيس السنغالي انتقادات حادة لموريتانيا احتجاجا على ما وصفه بالمعاملة غير الإنسانية، التي تعرض لها السنغاليون في موريتانيا. وحّمل السلطات الموريتانية مسؤولية الحادث الحدودي ، الذي أدى إلى تفجر أعمال العنف. وأبدى استعداد السنغال لتكوين لجنة دولية، تابعة لمنظمة الوحدة الإفريقية، للتحقيق في الأحداث K.وفي الوقت ذاته، اتهمت موريتانيا السنغال بتجريد الموريتانيين النازحين من ممتلكاتهم قبل مغادرة السنغال K.وأضاف الرئيس الموريتاني إلى ذلك، اتهام السنغال بتدبير الأحداث الدامية، وطالبها بدفع تعويضات عن ممتلكات الموريتانيين، التي صودرت ودمرت في السنغال.

وقد برزت وساطات سريعة بين الطرفين نذكر منها ، وساطة منظمة المؤتمر الإسلامي التي تدخلت لتسوية النزاع وتمثلت هذه المحاولة في البيان الذي أصدره الأمين العام للمنظمة الدكتور حامد الغابد رئيس وزراء النيجر سابقاً الذي تولى منصب الأمين العام الجديد للمنظمة في يناير 1989. والذي تميز بخبرة في الشؤون الإفريقية ، والاهتمام بها (ww.moqatel.com) .

وأصدر الأمين العام للمنظمة بياناً أبدى فيه استعداد المنظمة للمساهمة في استعادة مناخ الثقة، وحسن الجوار بين الدولتين، وناشدهما إيقاف القلاقل ومواصلة الحوار والمشاورات، بهدف التوصل إلى تسوية سلمية للنزاع. وأرسل الأمين العام رسالتين بهذا المعنى إلى الرئيس السنغالي عبده ضيوف، والرئيس الموريتاني معاوية ولد طايع .

وأوفدت الكويت سعود العصيمي، وزير الدولة الكويتي للشؤون الخارجية، إلى موريتانيا والسنغال، حيث اجتمع الوزير الكويتي مع الرئيسين ولد طايع وضيوف، ونقل لهما رسالة من أمير الكويت.

وبادر موسى تراوري ، رئيس جمهورية مالي، ورئيس منظمة الوحدة الإفريقية بزيارة السنغال وموريتانيا في 12 مايو 1989م ووجد أمامه الرئيس ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الذي كان يقوم بدوره في الوساطة بين الطرفين ، وقد واستطاع الزعيمين إقناع قادة الدولتين بوقف الحملات الإعلامية المعادية ، والانسحاب التدريجي لقوات الدولتين مسافة عشرة كيلومترات من الحدود المشتركة بينهما. وفي الوقت ذاته، وافقت الدولتان على البدء في إجراء

مفاوضات مباشرة بينهما في باماكو عاصمة مالي على مستوى وزيري الداخلية . واجتمع وزيرا داخلية السنغال وموريتانيا في باماكو ، بحضور وزير الإدارة المدنية المالي، للنظر في مقترحات مالي لتسوية النزاع . كما زار الأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية، السنغال وموريتانيا في أول يونيه، من أجل دفع المفاوضات بينها .

وقد تميزت زيارة الرئيس عرفات لكل من نواكشوط وداكار بأن كان لها أكبر الأثر في سحب فتيل أزمة أكبر من الدولتين نفسيهما ، حيث عملت آلة الإعلام الغربي على تحويل الأمر من مجرد نزاع حدودي بين دولتين جارتين اثر مشاجرات محلية بين الرعاة على حدود الطرفين إلى قضية صراع زنجي عربي ، ولم يعد يتصدر نشرات الأخبار في BBC و ARR1 قناة فرنسا الدولية وراديو إفريقيا الفرنسي والبي بي سي البريطانية إلا أخبار شحنات الأسلحة التي وصلت من العراق وليبيا لنصرة موريتانيا .

وتحول الإعلام لمناقشة قضايا العبودية ودور العرب فيها والعنصرية وتكريسها في المجتمعات العربية خاصة في كل من الحزام الصحراوي وموريتانيا والسودان ، لكن زيارتي الرئيس عرفات في أسبوع واحد لداكار وتجواله في بعض شوارعها ولما تحمله شخصيته من كاريزماتية عالية القبول لدى الشعب السنغالي بالإضافة لقدرته الفريدة على فهم تركيب نفسية المجتمع الإفريقي جعله يبدأ زيارته الثانية بأكبر زاوية للتيجانية ولشيخها محمد نياس الذي ربما لا يستطيع رئيس الجمهورية أن يرد له طلبا،وهو الذي يأخذ منه البركات لدى كل حل وترحال.

وقد استفاد الرئيس عرفات من كونه في نظر كثير من الأفارقة المدافع عن أولى القبلتين وثالث الحرمين بأن وظف البعد الديني توظيفا سليما في علاقاته ودبلوماسيته حتى أصبح جزءا هاما في خطاباته الحديث عن الأقصى على اعتباره قبلة المسلمين الأولى ، وكنيسة المهد وهي قبلة المسيحيين . لذلك كانت وساطة الرئيس عرفات تحظى بالقبول الرسمي والشعبي في السنغال ومن باب أولى في موريتانيا . وقد أعلنت الحكومة السنغالية كبادرة حسن نية عن تجميد العمل في مشروع البحيرات الذي كان يثير قلق الحكومة الموريتانية .

وقد أسفرت وساطة الرئيس عرفات عن الآتي :

1. وقف الحملات الإعلامية المتبادلة بين الدولتين .
2. فتح الحدود البرية لإتاحة الفرصة أمام النازحين للعودة إلى ديارهم .
3. تَكَفُّل كل حكومة بالمحافظة على ممتلكات أفراد الجالية الأخرى لديها .
4. تعويض المتضررين من كلا الطرفين .
5. استمرار الحوار بين الطرفين في باماكو برعاية منظمة الوحدة الإفريقية .

ثانياً : الوساطة في النزاع الليبي التشادي:

لو وجدت دولة أقرب إلى العرب والعروبة لكان لجمهورية تشاد موقع الصدارة ، لأسباب متعددة منها التاريخية حيث دخلها الإسلام مبكرا ، ومنها الاجتماعية حيث يغلب على شطرها الشمالي وجود القبائل العربية ، ومنها اللغوي حيث إن اللغة العربية لها قسطٌ كبيرٌ من الاحترام والمتحدثين . بل إن اللغة التشادية تكاد أن تكون لهجة عربية .

شهدت"تشاد" مولد عدد من الممالك الإسلامية مثل:"الغان" و"الباجوري" و"البرنو" وذلك ابتداء من القرن الحادي عشر وحتى تاريخ احتلال الفرنسيين لها1897م، ومنذ عام 1822 تعرضت لغزوات الاستعمار الأوربي ، وفي 1900 هزم الفرنسيون السلطان"رابح" الذي كان يحكم"تشاد"واحتلوها بكاملها في 1913م، ثم حولوها إلى مستعمرة فرنسية في إطار إفريقيا الاستوائية الفرنسية عام 1920م.

استقلت"تشاد"عام 1960م تحت رئاسة"تمبلباي".الذي تحامل على الشمال المسلم مما أدى إلى ظهور الجبهة الوطنية لتحرير تشاد " فرولينا " التي أعلنت الثورة المسلحة ضد الحكومة، فقتل "تمبلباي" في انقلاب عسكري عام 1975 بمساعدة عسكرية من ليبيا .

ولقد لعبت الجماهيرية الليبية دورا مهما في تشكيل الخريطة السياسية في تشاد من خلال دعمها للفرقاء التشاديين الذين درس جُلّهم في الجامعات الليبية والجزائرية ، وقد كان أشرس صراعٍ سياسيٍ شهدته الساحة التشادية الصراع الذي دار بين جوكوني عويدي من ناحية وحسين حبري من ناحية أخرى ، انتهى إلى أن تم توقيع اتفاقية سلام في مؤتمر"نيجيريا"1979م، حيث كّون الطرفان حكومة وحدة وطنية برئاسة"جوكوني عويدي". لكن سرعان ما دب الخلاف بينهما من جديد فاستعادت قوات "حبري" العاصمة مرة أخرى في يونيو1982 وأصبح "حبري" رئيسا للبلاد .

ولما آلت السلطة للرئيس "حسين حبري"، الذي قامت قواته في أغسطس 1987 بخوض معارك شرسة مع القوات الليبية استعادت على أثرها إقليم"أوزو" وقد لمع فيها نجم وزير الدفاع التشادي إدريس دبي ، فخشي الرئيس حبري من ازدياد نفوذه داخل المؤسسة العسكرية التشادية ، وخاصة أنه بدأ ينظر إليه كبطل قومي .

بدأت علاقة الثورة الفلسطينية بالمشكل الليبي التشادي بداية دراماتيكية حيث فشل الليبيون في التعامل مع حرب العصابات التي يجيدها التشاديون وبعد أن دخلت القوات الليبية انجامينا في فترة من الفترات تلقت هزيمة موجعة في وادي الدوم إحدى مناطق الحدود بين الطرفين . على أثرها نشرت القوات المسلحة الليبية عشرات الإعلانات في الصحافة القومية طالبة الدعم القومي لها في التصدي للغزو الصليبي الفرنسي القادم هذه المرة من الجنوب. (ww.nahrelbared.org)

في تلك الفترة كانت منظمة التحرير الفلسطينية في وضع حرج للغاية حيث انشقت مجموعة لا بأس بها من عناصر فتح وتمردت على قيادة الرئيس عرفات ، بل شنت عليه حربا في مخيمي نهر البارد والبداوي وطرابلس في لبنان وأرغمته على أن يخرج على سفائن فرنسية ويونانية للمرة الثانية في تاريخه السياسي بعد أن أخرجه شارون من بيروت قبل ذلك . وكانت حركة التمرد مدعومة من سوريا بالدرجة الأولى ومن ليبيا اللتين جمعت بينهما رغبة ملحة في الاستئثار بالملف الفلسطيني بينما أبو عمار شعاره الذي يردده (القرار الفلسطيني المستقل) وقد رد عرفات على ذلك بأن نزل ضيفا على الرئيس محمد حسني مبارك الذي استقبله استقبال الأبطال خاصة وأن أرض الكنانة كانت تعاني من العزلة المفروضة عليها إثر توقيع اتفاقيات كامب ديفيد.

في تلك الظروف تطوع كثير من الشبان الفلسطينيين لصالح القوات الليبية، وتكفل مطار دمشق وطائرات اليوشن الليبية الضخمة بنقلهم من عاصمة الأمويين إلى السارة عاصمة العواصف الرملية التي لا تنقطع. (مذكرات فدائي من أوزو في شبكة المعلومات الدولية (ww.nahrelbared.org.) .

في هذا الظرف استغل الرئيس ياسر عرفات وهو الذي يجيد سياسة حافة الهاوية واللعب على المتناقضات زيارته إلى انجامينا ليعلن فيها عن استعداد الثورة الفلسطينية لإرسال قوات فصل بين الليبيين والتشاديين. وفي تلك الفترة قامت القوات الليبية بهجومها المعاكس الذي اشترك فيه كثير من المقاتلين الفلسطينيين ونجحوا في استرداد قاعدتها الجوية في معطن السارة. ورغبت القيادة الليبية في عدم تصعيد الأمور أكثر مما ينبغي . فرحبت باقتراح الرئيس عرفات بل دعته لزيارة طرابلس رغم التحسن الكبير على علاقة منظمة التحرير الفلسطينية بالقاهرة وإعادة فتح مكاتب حركة فتح فيها . واستقبل الرئيس عرفات في طرابلس بحفاوة وبدأت طلائع القوات الفلسطينية بالتحول من السودان واليمن إلى جنوب ليبيا وخاصة مطار السارة الذي أصبح نقطة ارتكاز مهمة لقوات العاصفة ، بالإضافة إلى معسكر الشهيد (على عسكر) في منطقة اسبيعة إحدى ضواحي طرابلس ، ومعسكر جودالديم إحدى ضواحي مدينة الزاوية الليبية ، وأدرج مطار السارة على لائحة المطارات التى تتوقف فيها طائرة الرئيس عرفات بشكل دوري حتى أنه كاد أن يفقد حياته في إحدى هذه الزيارات وذلك في حادثة تحطم طائرته المشهور في تلك المنطقة عام 1992م.

وقد رحب التشاديون بوجود القوات الفلسطينية لما اعتبروه من كونها قوات غير معادية للشعب التشادي ، وللتقليل من الاحتكاك مع القوات الليبية ، بالإضافة إلى انشغال الحكومة التشادية ببعض محاولات التمرد المتوالية التي تعصف بالبلاد منذ استقلالها . وزيادة نفوذ وزير الدفاع في حكومة الخصم اللدود للعقيد القذافي حسين حبري ، وهو إدريس دبي (الرئيس التشادي الحالي)

وهو من قبائل الزغاوة التي لها امتداد قبلي كبير في كل من جنوب ليبيا وكردفان السودانية . وكان دبي قبل محاولته الإنقلابية يشغل منصب وزير الدفاع في حكومة حبري. وأشرف مباشرة على المعارك العسكرية التي اندلعت بين تشاد وليبيا في عقد الثمينيانيات. وشارك شخصيا في تنفيذ عمليات الهجوم التشادي على قطاع أوزو وقاعدة وادي الدوم وفيالارجو. وقاد الحملة التشادية على قاعدة معطن السارة، التي تقع على بعد نحو 300كيلومتر عن الحدود التشادية. وقد وصل الأمر إلى محاولة انقلابية حقيقية لم تنجح فر على أثرها وزير الدفاع إلى غرب السودان وتحديدا إلى كردفان حيث ساعدته ليبيا على تشكيل جيش قوي من خلال دعمها اللوجستي له في شرق تشاد . هذا الدعم الذي كان سببا رئيسيا ؛ لأن تتحول قوانه من موقع المدافع عن وجودها إلى طور الهجوم الكاسح الذي انتهى بسقوط العاصمة انجامينا في أيديها والاستيلاء على الحكم . وكان لبعض فصائل المعارضة الليبية في تلك الفترة حضور هام وكبير في تشاد. وكان أكبرها وجود الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا التي كانت على علاقة جيدة بحسين حبري منذ فترة طويلة تعود إلى بداية الثمانينيات، حيث التقى حبري مع وفد من جبهة الإنقاذ الليبية في العاصمة السودانية الخرطوم .وعندما استولى حبري على السلطة في تشاد ، طاردا رئيسها في ذلك الوقت كوكني وداي المدعوم من قبل الزعيم الليبي ، دعا حبري الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا لفتح مكاتب لها في العاصمة انجامينا ومزاولة نشاطها المعارض من هناك .

وانطلقت إذاعة الجبهة من تشاد تبث برامج متنوعة معادية للنظام الليبي . وأنشأت استوديوهات الإذاعة في بيت استأجرته من حسن جاموس وزير داخلية حبري في ذلك الوقت. وقد اتخذت المعارضة الليبية من انجامينا مقرا لها ، وتحول عدد غير قليل من المعارضة من لندن وواشنطن إلى انجامينا (جاكو: 1989، 49). وقد سمحت لهم السلطات التشادية بالاتصال بالأسرى الليبيين لديها من أجل تشكيل جيش ليبي وخاصة مع وجود قائد ليبي ذو شخصية قوية تم أسره وهو العقيد خليفة حفتر .

في تلك الظروف قام الرئيس ياسر عرفات بزيارات مكوكية بين طرابلس وانجامينا خاصة بعد أن فشل لقاء المصالحة بين الزعيمين الليبي والتشادي في ياوندي عاصمة الكاميرون أسفرت هذه الزيارات عن إفراج الحكومة التشادية عن عشرات الجنود الليبيين ممن هم من أصحاب الحاجات الخاصة ومصابي الحرب . وقد قوبل هذا التصرف بترحاب واسع في طرابلس خاصة وأن موضوع الأسرى كان مقلقا للقيادة الليبية لما يترتب عليه من مشاكل اجتماعية في مجتمع صغير وقليل العدد كليبيا . ويمكن أن نجمل نتائج وساطة الرئيس عرفات بين الجماهيرية الليبية وتشاد في النقاط التالية :

1. قبول الطرفين بتثبيت وقف إطلاق النار الساري واعتبار القوات الفلسطينية المتواجدة قوات صديقة للطرفين يمكن الاحتكام إليها .
2. إفراج السلطات التشادية عن كافة الأسرى الليبيين المصابين في الحرب ، والشروع في مفاوضات مباشرة من أجل إنهاء أزمة بقية الأسر ى .
3. عدم قيام أي طرف من الأطراف المتنازعة بأي سلوك يثير شكوك الطرف الآخر .
4. بحث آلية قبول التحكيم في ظل منظمة الوحدة الإفريقية أي صورة يقبلها الطرفان ، وقد تحقق هذا الشرط ففي فبراير1994م انسحبت القوات الليبية من إقليم" أوزو اثر حكم محكمة العدل الدولية التي قضت بأحقية "تشاد" له. (حسن: 116،2000) .

الخاتمة:

بعد أن تم استعراض جهود الرئيس عرفات الدبلوماسية للمحافظة على تماسك بين الساحتين العربية والإفريقية ، نصل إلى نتائج الدبلوماسية الناجحة التي كان يمارسها الرئيس، وقبل ذلك نقف قليلا عند مواصفات الدبلوماسي الناجح كما حددها هارولد نيكسون (نيكلسون، 56) لنتلمس وجودها في شخصية الرئيس عرفات وقد حددها في : المصداقية و الدقة و الهدوء والمزاج والصبر والتواضع والإخلاص ، والحذق ، والحنكة، والاحتراز، والرقة، والمهارة، والحصانة والنباهة . وحسن التصرف والسلوك والتعاطي في الحياة الاجتماعية ، وإقامة العلاقات والصداقات .

من خلال هذا الحشد الهائل للصفات المثالية التي ذكرها نيكسون لا يسعنا إلا أن نقر كما يقر و يعترف القاصي والداني أن الرئيس عرفات كان يمارس دبلوماسية عالية المستوى ، إن دلت على شيء فإنها تدل على شخصية محترفة السياسة . قادرة على استثمار الظرف السياسي أعظم استثمار ، وقادرة على استغلال مقومات النجاح في العمل السياسي والدبلوماسي بصورة مقتدرة .

فرغم أن القضية الفلسطينية من أعقد القضايا السياسية التي عرفها العصر الحديث حيث يختلط فيها الدين بالسياسة بالعسكرية بالاحتلال وبكل ما أنتجته ظروف العصر الحديث من تعقيدات وصراع بين محاور وأقطاب دولية ، إلا أن عرفات يجد الوقت لكي يتوسط في خصومات أشقائه وإخوانه وأصدقائه .

ولعل الرئيس عرفات من أنصار نظرية الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في كتابه فلسفة الثورة – أعني نظرية الدوائر– حيث تشغل الدائرة الإفريقية الدائرة الثالثة في اهتمام الثورة. لذلك فإن الرئيس عرفات أعطي الدائرة الإفريقية اهتماما خاصا وهي التي تمثل رافعة جيدة لمصلحة القضية الفلسطينية في المحافل الدولية .

وفي الختام نخلص إلى جملة النتائج التالية :

1. نجح الرئيس الراحل بالقيام بدوره التاريخي والتوسط في المنازعات العربية – الإفريقية. وقد توصل باقتدار إلى إنهاء هذه الخلافات .
2. آمن الرئيس الراحل أن إفريقيا ميدان آخر من ميادين الصراع بين الفلسطينيين وإسرائيل فأولى إفريقيا اهتماما جيدا ، وحرص على التواصل مع قادتها .
3. كون الراحل شبكة هائلة من الصداقات والعلاقات السياسية مكنته من أن يساهم في فض جملة من النزاعات الدولية ، وجعلت منه شخصية تحظى بثقة واحترام الفرقاء في أكثر من نزاع وخلاف سياسي وعسكري .
4. إن من الحكمة والوفاء لهذا القائد الراحل المحافظة على الزخم الذي كان يحرص على منحة للقضية الفلسطينية من خلال الاتصالات المباشرة مع كل أطياف السياسة الدولية فمن باريس وواشنطن وبكين إلى موسكو ولندن وهانوي مرورا بنيودلهي وإسلام أباد وطهران حتى بريتوريا وأبوجا ودار السلام ... فأرسى قاعدة من التعاطف مع القضية الفلسطينية تعجز عن القيام بها دولا ذات سيادة ومال وإعلام .

قائمة المراجع والمصادر

1. إسرائيل وإفريقيا.د.مجدي حماد. ص 82.دار المستقبل العربي بالقاهرة. ط2،1986م.
2. العلاقات العربية – الإفريقية، إجلال رأفت، معهد البحوث والدراسات السياسي،جامعة القاهرة، ص383، ط1، 1994م .
3. العلاقات السياسيّة بين تشاد وليبيا.محَمّد شريف جاكو، ص49، ط1،مكتبة مدبولي، 1989م.
4. العلاقات العربية – الإفريقية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة: نحو إطار إستراتيجي جديد للقرن الحادي والعشرين"، حمدي عبد الرحمن حسن،(القاهرة:المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، 2000)،ص116 .
5. الدبلوماسية القديمة والجديدة في السياسة والأنظمة الدولية . هارولد نيكلسون
6. (The Old and the New Diplomacy In Politics And The International Systems)
7. في العلاقات الإستراتيجية بين العرب وإفريقيا،شريف إبراهيم،مجلة الوحدة، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية، عدد97 ، أكتوبر 1992، ص 6-7 .
8. مشكلة الحدود بين السنغال وموريتانيا، عبد الله عبد الرازق إبراهيم، معهد الدراسات الإفريقية، 1994م، ص86 .
9. مذكرات فدائي من أوزو في شبكة المعلومات الدولية . ww.nahrelbared.org

10. النزاع السنغالي–الموريتاني، دراسة تحليلية للمسببات المحلية والدولية، جلال محمود رأفت، القاهرة، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة، ص25، بتصرف يسير .
11. النزاع السنغالي الموريتاني: بين المأزق العرقي والمخرج الوطني الشعبي، صالح بكداش، المستقبل العربي، ص30، 1992م، القاهرة .
12. ندوة العلاقات العربية–الإفريقية، جمعية الدعوة العالمية، ص405، مطبوعات جمعية الدعوة، طرابلس، ليبيا .
13. www.aljazeera.net
14. www.panapress.com
15. www.maqatel.com
16. www.moqatel.com